مصانع الأبطال

ان الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا.. أما بعد: فان للام دورا كبيرا في بناء الجيل وبقدر النجاح الذي تحققه في تربية الام يكون النجاح الذي تحرزه في بناء الامة وصناعة الابطال وكثيرا ماتجد وراء أحد العظماء امرأة عظيمة تركت بصمات نفسها الكبيرة بارزة في شخصيته من خلال اللبن الذي رفع ومن خلال دفء الحضن الذي فيه رتع ،وكثير من الرجال يصعب عليه أن يمسح من ذهنه تلك الصور المشرقة التي التقطها لأمه فيقف وفي ذهنه تلك الصور الرائعة التي جرت في عروقه منذ حداثة سنه فلا يملك الا أن يتمثلها باكبار أو يتملاها باجلال وافتخار ثم تندفع الكلمات البسيطة الواضحة التي اودعتها امه كيانه فتشمخ معالم في طريقه ومنارة على جادته ولايستطيع الا أن يتفيأ الظلال الوارفة التي أقامتها له الام على طريق العمر الطويل تغذيها المشاعر الجميلة وتتفاعل معها الأيام الخالدة في حياته فتشتجر هذه العوامل في كيانه وتكون جزءا لا يتجزأ من شخصيته ،ولايستطيع أن ينسلخ منها الا اذا انسلخ من انسانيته وتجرد من بشريته.

ولذا كان الحفاظ على هذا الود ومقابلة هذا الجميل بالوفاء والبر فريضة من فرائض الاسلام مقرونة بكلمة التوحيد: (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) ويعتبر العقوق قرينا للكفر، ويحتل احترام الام منزلة رفيعة في سلم الاسلام وله ثقل كبير في ميزانه وفي الصحيح جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يارسول الله من أحق الناس بصحبتي ؟ قال: أمك ، قال: ثم أي قال: امك قال: ثم أي، قال: امك قال: ثم أي قال: أبوك).

قلت ذات مرة لابراهيم الأخضر - امام الحرم المكي - لماذا تحرم الناس من صوتك الندي الذي يتجمع عليه المسلمون من كل مكان وكيف تطلب العودة الى المدينة وبعض الناس يقولون: لكانما نسمع القرآن يتنزل من السماء غضا طريا ونحن وراء ابراهيم الأخضر ؟.

فقال: ان ذخري في الحياة جدتي ووالدتي ولابد من الوفاء بعهدهما والقيام ببرهما ولا يقوم أحد بهذا غيري، فقلت لماذا لاتأتي جدتك هنا؟ فقال: انها ترفض أن تغادر المدينة خوفا من أن تموت خارج المدينة وامنية الحياة الغالية عندها أن تدفن في البقيع ،وفعلا ترك ابراهيم الحرم المكي وعاد ليؤم في مسجد صغير في المدينة ملتزما الجنة عند قدمي امه وجدته.

ولقد اوصى الاسلام بتربية البنت وتاديبها وتعليمها لتكون حرزا (سترا) لأبيها من النار

وصدق الشاعر:

الأم مدرسة اذا اعددتها
اعددت شعبا طيب الاعراق

وفي أفغانستان المسلمة نماذج رفيعة من الامهات سواء من داخل أفغانستان أو من العالم الاسلامي نتعرف عليها من خلال الرسائل التي تردنا عبر بريد مجلة الجهاد، ومن خلال هذه النماذج فاطمة أم فيصل المكية.

فلقد كانت فاطمة ام الاولاد الستة تحلم أن ترى ابنها فيصلا يحظى بفتاة احلامه وتفرح بابنها قبل أن تخطفها يد المنون اذ انها تدلف الى جدثها بخطى حثيثة بعد أن بلغت السبعين، واشترت لابنها الصغير ـ الراصد الجوي ـ أثاث العرس ولم يبق من ابنائها غيره ممن لم يكمل نصف دينه الآخر.

كانت فاطمة تعيش مع ابنها فيصل في شقته الهادئة على شاطىء البحر الأحمر في جدة وتنتظر اليوم الذي تختم فيه فرحها باصغر ابنائها، ولقد كانت تفخر بابنها الذي طالما تباهت برؤية صورته على شاشة التلفاز يقدم مسرحياته للجمهور.

ولكنها خلال الأشهر الأخيرة صارت تلمح على قسمات وجه ابنها تغيرا وسهوما ووجوما وصمتا وغابت تلك الابتسامة المشرقة التي كانت لا تفارق شفتيه هنالك شيء جديد جاد يعتمل في أعماقه يشغله وهي تلاحظ عليه شرودا ولم تعد تلك الأحاديث التي كان يفاتحها بها عن امانيه واحلامه، واختفت من أنظاره بهارج الحياة وزخارفها واضطرت أن تقتحم عليه عزلته ووحشته متسائلة ماذا عساه دهاك ياحبيبي فأشغلك عنا وعن الحياة الوادعة الآنسة حولك؟

وهنا فاتحها بما يكنه بين جوانحه لقد قرأت كتابا عن الجهاد الأفغاني اسمه: ((آيات الرحمن في جهاد الأفغان)) يتكلم عن قضية خطيرة كبيرة في حياة المسلمين وهي قضية الجهاد التي ليست مسطرة في سطور بل حقائق متمثلة في دنيا الواقع يخوضها شعب أعزل امام العملاق الكبير ـ الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو ـ.

وبدأت الاسئلة تنشال على لسانها: وأين (أفغانستان) هذه من الأرض؟ فأجاب: انها بلد مسلم يعيش فيه شعب رفض أن يعطي الدنية في دينه ودفع ضريبة عزته

> أم فيصل المكية (بلغت السبعين عاما) تسافر مع ابنها الى أرض الجهاد وترفض العودة

غالية باهظة فهناك على سفوح الهندوكوش وعلى ضفاف الهلمند وفي سهول هرات يسقط شهيد كل أربع دقائق ويغادر شيخ أو أمرأة منزله كل دقيقة.

يستعذبون مناياهم كانهم
لايخرجون من الدنيا اذا قتلوا

قالت: ولكن هذه البلاد جد بعيدة، فأجابها: أولسنا المسلمين؟ أو ليست أرض الاسلام كالبقعة الواحدة؟

اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم
لأية أرض أو لأي مكان

وطفق فيصل يرتب نفسه ويعد للأمر عدته ويتخذ له أهبته وفاض الغرام واحترق الكبد بالشوق وزاد الشجى واذا به ذات يوم يحضر سيارة كبيرة من السوق ويضع جميع أمتعته رياش العرس وفراش الزواج واثاثه ولم يبق في البيت كرسيا ولا أريكة وانطلق الى سوق الحراج وطلب من السمسار أن ينادي عليها بالبيع وصاح الدلال فقال قائل هي عليّ بثلاثة الاف فلم يتردد عن الاجابة بالقبول، وباعها بهذا الثمن البخس بعد أن دفع ثمنها سبعة عشر الفا.

لقد كان بيع الأثاث اعلانا صارخا عن العزم الوامض والتصميم الحاسم على طلاق الدنيا ثلاثا لارجعة فيها.

وتعلقت امه به، لابد أن أرافقك مسيرة طريق العرق والدماء ولا بد أن أسير فوق جادة الجهاد رغم الاشواك والعقبات واللأواء والسغوب والنوّي.

ويعجب فيصل: وهل لمثلك دور في هذا الدرب المضني؟ سيّما وقد نيفت على السبعين وثقل اللحم وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر.

> أم سعيد الجزائرية تقدم ابنيها للجهاد في سبيل الله بعد أن دعت لهما حول الكعبة بالشهادة

وتجيب الام: نعم استطيع أن أغسل ثياب المجاهدين وأن أطبخ طعامهم.

وصار النقاش يشغل قسما من الوقت في مجيئها أو بقائها في بيتها ووعدها فيصل أن يأتي لمعرفة الدور الذي يمكنها القيام به في أرض الجهاد ثم يرجع اليها.

وجاء فيصل فترة ثم عاد ليرتب اموره نهائيا ويستقيل من وظيفته ويخلص بنفسه الى الله وينسلخ من دنياه التي يعيش فيها نهائيا وتصر الوالدة على القدوم الى أرض الجهاد وقدمت فاطمة الى بيشاور وزارت الأرامل والأيتام، وحاول ابنها ان تعود الى جدة وبعد جهد جهيد توصلا الى قبول تحكيمي فقالت له: لن أرجع حتى أسأل الشيخ عبدالله عزام.

وجاء فيصل بأمه لتطمئن الى جواز رجوعها الى جدة، والى الحكم الشرعي أن الله يعذرها بالعودة فأفتيتها بجواز رجوعها فغادرت وهي مطمئنة أنها من أصحاب الأعذار.

نظرت الى هذه العجوز باكبار وانبهار ثم قلت في نفسي انها مكية ولعلها قرشية فلا غرو في هذا فقد قال صلى الله عليه وسلم: (خير نساء ركبن الابل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره وارعاه على زوج في ذات يده) متفق عليه.

انها تريد أن تسير على نهج ام حرام بنت ملحان زوج عبادة بن الصامت حيث نام صلى الله عليه وسلم في بيت عبادة فاستيقظ وهو يضحك فقالت ام حرام مايضحكك يارسول الله؟ قال: ناس من امتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة، فقالت: يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها فركبت ام حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها فهلكت) رواه مسلم.

تريد فاطمة أن تنسج على منوال ام سليط التي كانت تنقل قرب الماء يوم أحد/البخاري، وتود أن تلحق بالربيع بنت مسعود رضي الله عنها التي قالت كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى الى المدينة /البخاري

نموذج فقط:

وليست القصة هي قصة فاطمة - ام فيصل - وحدها ولكنها قصة الكثيرات اللواتي يتقلبن على اللظى شوقا لرؤية الجهاد وتحلم كل واحدة منهن بفتى أحلامها أن يكون ممن يمتشقون السلاح ويمتطون صهوات الجياد ويحيون في قمم الجبال.

الرسائل:

وكم من الرسائل ترد الينا من فتيات جامعيات او معلمات ومن جميع الطبقات أنها تود أن تحظى بمحرم يحضرها الى أرض البطولات أما وقد يئست أن تجد من محارمها في النسب فلا عدمت أن تجد المحرم الأخير وهو الزوج

هذه ام سعيد الجزائرية:

يستأذنها ابنها في الجهاد فتقول له: أنت خريج الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة وتعلم الشرع اكثر مني، فأي أمر شرعي فلا تستأذني فيه، أما بالنسبة للجهاد فقد قام الجهاد في الجزائر ولم يكن عندي اولاد وكنت اتمنى أن يكون لي اولاد اقدمهم في هذا السبيل، والآن فقد رزقني الله أحد عشر ولدا فلا بد أن اقدم بعضهم في سبيل الله.

وأرسلت سعيد وعبدالرحيم الى الجهاد بعد ان دعت لهما حول الكعبة بالشهادة.

انها ليست قصة فاطمة ولكنها قصة عشرات الالوف من الفواطم اللواتي ولدن في هذا الدين الذي لن يعقم أن يقدم النماذج عبر الأجيال.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك ■